أعتق رقابنا

Freed our necks

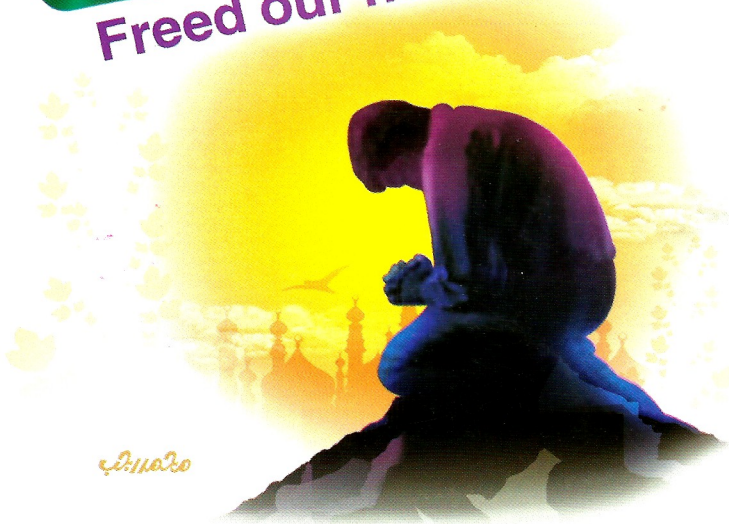

فضيلة الشيخ
محمد الصاوي

دار الدين القيم
للنشر والتوزيع

مقدمة

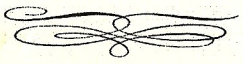

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب الأولين والآخرين فاطر السماوات والأرضين له نسكي ومحياي ومماتي.

ذكـــــر الوعيـــــد فطرفـــــه لا يهجـــــع
وجفـــا الرّقـــاد فبـــان عنـــه المـــضجع
متفـــــرّدا بغليلـــــه يـــــشكو الـــــذي
منـــــه الجـــــوانح والحـــــشا يتوجـــــع
لمـــا تـــيقّن صـــدق مـــا جـــاءت بـــه
الآيـــــات صـــــار إلى الإنابـــــة يُـــــسرع
فجفـــــا الأحبّـــــة في محبّـــــة ربّـــــه
وســـما إليـــه بهمّـــة مـــا يقلـــع

وتمتعـــــت بـــــوداده أعـــــضاؤه

إذ خـــــصّها منـــــه بـــــودّ ينفـــــع

كـــم في الظـــلام لـــه إذا نـــام الـــورى

مـــــن زفـــــرة في إثرهـــــا يتوجّـــــع

ويقـــــول في دعواتـــــه يـــــا ســـــيدي

العـــــين يـــــسعدها دمـــــوع رجـــــع

إني فزعـــــت إليـــــك فـــــارحم عـــــبرتي

وإليـــــك مـــــن ذلّ الخطيئـــــة أفـــــزع

مـــــن ذا ســـــواك يجـــــيرني مـــــن ذلتـــــي

يـــــا مـــــن لعزتـــــه أذلّ وأخـــــضع

فـــــامنن عـــــليّ بتوبـــــة أحيـــــا بهـــــا

إني بـــــها اجـــــترأت يـــــداي مـــــوقّع

قـــــل التـــــصبّر عنـــــك يـــــا مـــــن حبّـــــه

أمـــــسى بكـــــل جـــــوانحي يتـــــوزع

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد أيها الإخوة الأحباب.

أعتق رقابنا..

ما أجملها من جملة، وما أحسنها من كلمة إنها دعوات الصالحين في جوف الليل.. إنها كلمات المخبتين إلى ربهم.. إنها أنين المخلوقين إلى خالقهم إنها حداء العارفين ونشيد المشتاقين.

أعتق رقابنا، أعتقها، لأننا نعلم أنه لن يعتقها أحد سواك، أعتقها يا ربنا لأننا نعلم أنه لن ينجينا أحد سواك، إن رقابنا بيديك وخلاصها بأمرك وفوزها بالنعيم تحت حكمك، فارفق بعبيدك فإنهم ضعفاء، وارحم المذنبين منهم قبل أن تغتالهم الأهواء، واعف عن المقصرين منهم فقد أزلتهم الضراء.

أعتق رقابنا!!

كلمة تملأ القلب وتهز الجوارح وتنبه الغافل وتوجه الحيران، وتحفز الكسلان.

أعتق رقابنا!!

كلمة تذكرنا بالبكاء والحنين تذكرنا بالجزاء الأليم إذا لم نزحزح عن النار، كلمة من أجلها سهر العباد، ولأجلها جاهد الأبطال ولأجلها تعب العلماء ولتحقيقها تألم المحبون.. كل قلب وكل لسان وكل فم نطق بها فإنه يعلم قدرها.

واليوم أيها المسلم واليوم أيتها المسلمة جئنا لنذكر أنفسنا بها، جئنا لنعمل على تطبيقها، كل واحد بيننا يناجي ربه بكل خلاياه.. أعتق رقبتي يا ربي أعتقها لأنني ما عدت أطيق ذنبي أعتقها لأنني لا أحد يداويني غيرك، أعتقها لأن الشفاء عندك، كم معصية فعلتها وكم خطيئة ألممت بها واليوم يا ربنا دموعنا تسبقنا، ووجلنا يتقدمنا، وانكسارنا إليك ظاهر، نبكي ونحن نعلم أن النبي ﷺ قال: «**عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله**» نحن ندرك يا رب أن حلمك واسع، وأن كرمك كبير وأن فضلك عظيم لذلك اليوم نغسل وجوهنا بالدموع، نخاف أن نقف بين يديك يومًا فيعجز اللسان وتخرس الأفواه، وتتكلم الجوارح فتظهر الفضائح لذلك نحن نبكي، نبكي لأن الدموع تطفئ حرارة

الذنوب، نبكي لأن الدموع تغسل درن القلوب، نبكي لأن الدموع ترضيك يا علام الغيوب.

جاء في الأثر أن رجلا من قوم داود عليه الصلاة والسلام قال: إلهي ارحمني بكثرة بكائي فإن العبد لو بكى في ملأ من الناس لرحموه، وأنت رحمتك أوسع، إلهي ما جزاء من بكى من خشيتك حتى تسيل دموعه على خديه؟ قال الله: جزاءه أن أحرم وجهه على لفح النار وأن أؤمنه يوم الفزع.

أبشر يا كل باكٍ أبشري يا كل باكية. رحمته جل وعلا سبقت غضبه، ومغفرته سبقت عقابه، أبشروا جميعًا الآن تفتح الأبواب للصادقين والآن تضاء الشموع للسائرين، يا من بكيت خوفًا من الله لا تحزن فربك كريم، يا من بكيت خوفا من النار لا تحزن فربك كريم، يا من بكيت شوقًا إلى الجنة أبشر فربك كريم يا من بكيت أكثر البكاء فإن العبد ما زال يبكي حتى يرحمه سيده فيعتقه من النار.

قولوا جميعًا: مولانا أعتق رقابنا، أعتقها فوالله ليس في الأرض مقصرون مثلنا، ليس في الأرض مذنبون مثلنا ليس في الأرض مفرطون مثلنا والآن يا رب جئناك نادمين.

قال عبد الواحد ابن زيد: يا إخوتاه ألا تبكون شوقًا إلى الله، ألا إنه من بكى شوقًا إلى سيده لم يحرمه النظر إليه، يا إخوتاه ألا تبكون خوفا من النار ألا إنه من بكى خوفًا من النار أعاذه الله منها، يا إخوتاه ألا تبكون خوفا من العطش يوم القيامة ألا إنه من بكى خوفًا من ذلك سُقي على رؤوس الخلائق يوم القيامة يا إخوتاه ألا تبكون!! ابكوا على الماء البارد أيام الدنيا لعله أن يسقيكموه في رياض الجنة مع خير الأنبياء.

أعتق رقابنا يا رب..

فإننا ما عرفنا النار حق المعرفة، كنا نظن الأمر يسير لكننا الآن أدركنا كم هو عسير..

عرفنا شدة حرارة النار وأدركنا عظم ألم المتعذبين فيها، تشوى الأجساد وتتمزق الأطراف وتذوب العظام..

ترى من يقوى على هذا يا ربنا نحن لا نقوى: نحن نعلم الآن يا رب حديث النبي ﷺ: **«يؤتى بالنار يوم القيامة تجر وهي تزفر وتغلي لها سبعون ألف زمام على كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** من يحتمل شيئًا كهذا لذلك نحن اليوم نبكي والله يا ربنا إن قلوبنا لا

يحيها أحد سواك وإن رقابنا لا يحررها أحد سواك وإنا نخاف من سخطك علينا فأعطنا الرضا وامنحنا الرحمة.

كان أويس القرني يقف في سوق الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير وكيف يذيبون الحديد بالنار يسمع صوت احتراق النار وتآكُلِها فيصرخ ثم يسقط حتى يجتمع عليه الناس، **فيقولون:** هذا مجنون.

قال مولى لعمر بن عبد العزيز: استيقظ عمر بن عبد العزيز ليلة باكيًا، فلم يزل يبكي حتى استيقظت قال: وكنت أبيت معه فربما منعني النوم كثرة بكائه، قال: فأكثر ليلتها من البكاء جدًا فلما طلع الصباح قال: أي بني ليس الخير أن يُسمع لك ويطاع لكن الخير أن تفهم كلام ربك وتعقله، يا بني لا تأذن اليوم لأحد من الناس أن يدخل عليّ فإني أخاف ألا أعقل شيئًا، **فقلت:** إني رأيتك الليلة بكيت بكاء شديدًا يا أمير المؤمنين فلماذا؟

قال: فبكى عمر بن عبد العزيز وقال: إني تذكرت الموقف بين يدي الله عز وجل ثم جلس يبكي حتى أغمي عليه، قال المولى فما رأيته مبتسما بعد ذلك حتى مات.

أعتق رقابنا يا مولانا..

فنحن نخشى من يوم العرض عليك حين تبدو السرائر وتكشف الضمائر وتتطاير الصحف، ويجري الناس فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ويجري صاحب الفوز فرحًا مسرورًا ينادي الناس: يا ناس! يا قوم! تعالوا اقرءوا كتابي معي لقد كنت أظن أني هالك، كنت أظن النار ستحرقني كنت أظن ربي لم يعتق رقبتي لكن يا سعادتي ويا فرحتي.

وأما الآخر الخاسر الذي أمسك كتابه بشماله يقول: يا ليتني لم آخذ الكتاب.. وليتني لم أعرف الحساب وليتني لم أفضح على الأبواب الكل ينظر إلى سوءاتي والجميع يشاهد غدراتي وفجراتي، ليتني كنت ترابا، ليتني لم أكن شيئا مذكورا: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ١٨ – ٢٩].

لم تنفعني الدنيا لم تنفعني الأموال لم ينفعني الأولاد، لم يغني عني منصبي شيئًا، لم تنفعني وجاهتي بين الناس، لم ينفعني سلطاني وكبريائي ليتني أموت، ويأتي الجواب من العزيز الجبار ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٧].

لذلك نحن اليوم نبكي يا ربنا، لذلك نحن نناديك أعتق رقابنا، لذلك نحن نناديك أنقذ أرواحنا، لذلك نحن نناديك أصلح قلوبنا، لذلك نحن نرجوك خذ بنواصينا.. إنها نواصينا الخاطئة.. إنها نواصينا الكاذبة.. إنها نواصينا الغادرة إنها نواصينا المفرطة، يا رب إن كانت رحمتك للطائعين فقط، فمن لنا نحن العصاة، إن كان جودك وكرمك للمستحقين فقط فمن لنا نحن المقصرون.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لي النبي ﷺ يومًا: اقرأ عليّ، قال يا رسول الله: اقرأه عليك ومنك تعلمته وعليك أنزل، فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى

بلغت قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾[النساء: ٤١ - ٤٢]

فقال النبي ﷺ: حسبك.

فنظرت فإذا عيناه تبكيان.

تـــزدان في غـــسق الـــدجى الآيـــات
وتـــسافر الـــدعوات والـــدمعات
ويظـــل صـــمت الليـــل يـــروي خاشـــعًا
كيـــف الرســـول تلفـــه الرحمـــات
في داخـــل الحجـــرات يرجـــف قلبـــه
شـــوقًا لمـــن رفعـــت لـــه الـــصلوات
وتفطـــرت قـــدماه لمـــا جـــاءه
غفـــرت ذنوبـــك زيـــدت الحـــسنات
وتقـــول عـــائش يـــا رســـول ترفقـــا
فقـــد قبلـــت وتمـــت الخـــيرات

وهنـــا يبـــوح محمـــد في خـــشية
شـــكرًا لـــربي تـــسكب العـــبرات
فأبيـــت منتـــصبا لـــيرضى خـــالقي
والله قـــرة عينـــي الركعـــات
وهنـــاك تبحـــر في الخـــضوع مراكـــب
وعـــلى الـــشواطئ تنحنـــي الهامـــات
هـــذا الرســـول إمـــام كـــل موحـــد
شرفـــت بـــسرد حياتـــه الـــصفحات
هـــو قـــدوة العبـــاد في إخبـــاتهم
هـــو مـــشعل تفنـــى بـــه الظلـــمات
تجـــري عـــلى خديـــه أتقـــى دمعـــة
لمـــا ترتـــل عنـــده الآيـــات
اقـــرأعلي أيـــا ابـــن مـــسعود هنـــا
فلـــنعم مـــا تقـــضى بـــه الـــساعات

إني أحـــب ســـماعه يـــا صـــاحبي

أولـــيس فيـــه الخـــير والبركـــات

ومـــضى ابـــن مـــسعود يجـــود آيـــه

وتزينـــت في صـــوته الكلـــمات

وتراكمـــت ســـحب الخـــشوع بـــدفئها

وتحفـــزت لخروجهـــا الـــدمعات

واهتـــزت الأرواح كـــالأرض التـــي

تهتـــز لمـــا تهطـــل القطـــرات

وتحـــدث القـــرآن عـــن يـــوم اللقـــاء عـــن

لحظـــة بهـــرت بهـــا اللحظـــات

لمـــا يجـــيء لكـــل قـــوم شـــاهد

وتوضـــح الأخطـــاء والـــسوءات

وعلـــيهم يـــأتي محمـــد شـــاهد

ويـــود أن يطـــوي العـــصاة ممـــات

وهنـــا يجـــود المـــصطفى بدموعـــه
ويقـــول حـــسبك هـــذه الآيـــات
ولـــذاك تمتـــلء الجوانـــب خـــشية
وإلى الـــسماء تحلـــق النظـــرات
هـــي صـــورة لنبينـــا مـــع ربـــه
فهنيئـــا الرضـــوان والجنـــات
مـــا أجمـــل التقـــوى ومـــا أزكـــى الهـــدى
فهـــما لكـــل العـــالمين حيـــاة

لذلك نحن اليوم نبكي، نبكي لأن الرسول ﷺ بكى حين علم أنه في يوم ما سيكون شهيدا على أمته وعلى الأمم.. يا أيها العاصي يا أيتها المفرطة هل استشعرتم يومًا أن الرسول ﷺ سيكون عليكم شهيدًا نعم، يشهد عليك يا من نظرت إلى الحرام، نعم يشهد عليكِ يا من تسمعين الحرام، يشهد على كل مذنب ومقصر ويشهد أيضًا لكل مؤمن ومطيع، يا خسارة من لم تعتق رقبته حينئذ ويا حزن من لم تغفر

زلته حينئذٍ ألم يأن يا شباب أن تخشع قلوبنا لذكر الله ألم يأن يا فتيات أن ترق قلوبنا لكلمات الله ألم يأن أن نتوب، بلى والله قد آن.

قال ابن ذئب حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز حينما كان أميرًا على المدينة المنورة أنه رأى رجلا قرأ عنده قول الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٣ – ١٤]. فبكى عمر بن عبد العزيز حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه وقام من مجلسه وتفرق الناس.

أعتق رقابنا يا ربنا..

لأننا نحبك، نحبك وإن عصيناك، نحن نحبك وإن أغضبناك جهلنا غرنا فما عرفنا منزلتك لكننا اليوم يا رحمن نسألك الغفران والعتق من النيران.

قولوا لأهل الحزن والرقة: أبشروا وقولوا لأصحاب الدموع الجارية اهنئوا فإذا رضي الله عنكم الآن فلا سخط، وإذا أعتقت رقابكم اليوم فلا عذاب، نحن نخشى يا ربنا من يوم تشيب فيه

النواصي، نحن نخشى من يوم يفر فيه المرء من أمه التي أرضعته وحملته ويهرب من والده الذي رباه وآواه، تصرخ أمه: حسنة يا ولدي أدخل بها الجنة، فيصرخ ويقول نفسي نفسي، وينادي والده حسنة يا ولدي أتبلغ بها الجنة فيقول نفسي نفسي، وحينها تخور القوى وتُهد الأركان وتتلعثم الشفتان فلا تتكلم إلا العيون والدموع ذهول وتعجب وهولٌ وآلام..

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾[عبس: ٣٤ - ٣٧].

لكن من أعتقت رقبته يا رب؟

تناديه في ذلك الموقف عبدي فلان بن فلان يسمع صوتك فيفرح.. يأتيك مسرعًا عَجِلا قد أطرق الرأس وحنى الجبين فتقول له: يا عبدي المؤمن هل تذكر ذنب كذا وكذا.

فيقول: نعم يا ربي.

فتقول له: عبدي كنت سترتها لك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.

فيعلو البشر على الوجه وترتسم الابتسامة على الشفاة ويشرق المحيا ويتنور الجبين..

يا سعادتي حينها ويا سروري، هذا لمن أعتقت رقبته لذلك نحن اليوم نبكي لك يا ربنا نبكي وكل خلية بأجسادنا تعترف لك، حلمت علينا كثيرًا وغفرت لنا كثيرًا وسترت علينا كثيرًا وعافيتنا كثيرًا وآويتنا كثيرًا وهديتنا كثيرًا فلا تحرمنا اليوم فضلك ولا تجعلنا أشقى خلقك..

إن كنا نستحق النار فالليلة نسألك أن تعتقنا منها، وإذ كنا نستحق الجنة فالليلة نسألك أن تعيننا على أداء حقها وشكر نعمتك فيها.

مسكين صاحب القلب الخالي مسكين صاحب الذنب والجرم مسكين كل من لم يسأله عتقًا مسكين من آذى سيده وسيده عليه حليم مسكين من عاند سيده وسيده له رحيم، مسكين من عصى سيده وسيده عليه كريم، يا بعيدًا عن الله وأنت تريد عتقًا من النار، هل لديك مأوى غير الله..

مسكين من تكبر على سيده وسيده له كريم مسكين من تأخر عن سيده وسيده هو العظيم، مسكين من أبى أن ينحني لسيده وسيده ذو الفضل العظيم..

يا بعيدًا عن الله وأنت تريد العتق من النار!!

هل لديك مأوى غير الله، يا بعيدًا عن الله وأنت تريد السقيا من الأنهار هل لديك جنة غير جنة الله!!

يا ضعيفًا يريد قوة تنجيه من النار هل لديك قوة أعظم من قوة الله!!

يا شريدًا في الديار طريدًا في الصحراء هل أحدًا ينجيك إلا الله، يا مقيدًا بسلاسل الذنوب والأوزار لا أحد يفك القيود إلا الله، يا حزينًا على شهوات الدنيا هل أحد سيعطيك من لذات الآخرة إلا الله!!

يا مفرطًا سبقك الأذكياء إلى الله، يا نائمًا استيقظ فعما قريب ستصل إلى الله، يا مصرًا على لهوه تجنب لهوك قبل أن يفجأك عذاب الله..

مولانا نحن الليلة نسألك أن تعتق رقابنا حتى نعلم من أي الفريقين نحن؟ من فريق الجنة المنعمين أم من فريق النار المعذبين!! ذلك الفريق الذي يدفع إلى النار دفعًا يجرون بالسلاسل إلى هذه النار، يقال لهم: أليست هذه النار التي كنتم تكذبون بها، طلب منكم الطاعة فما أطعتم.. طلب منكم البكاء فما بكيتم.. طلب منكم السجود فما سجدتم فالآن ذوقوا حرها، وعاينوا آلامها، فلا يُصدّقون حينها ما يحل بهم.

وأما القسم الآخر فهو في جنات يتنعم، سرورهم لا يعادلهم سرور وسعادتهم لا توازيها سعادة، يتقابلون في الجنة مع أهليهم وذرياتهم وأحبابهم فينسون كل شقاء مر بهم في الدنيا، ويقولون: إن نجاتنا من النار كانت بسبب دعائنا الغفار، اللّهم اعتقنا من النار،

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ

﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا
تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ
وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۖ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ
وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾
وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا
تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾
فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ
نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ١١ – ٢٨].

لذلك نحن الليلة نبكي: يا ربنا أعتق رقابنا، عبدناك، دعوناك، رجوناك، سألناك، طلبناك، تذللنا لك، وقفنا ببابك ورفعنا أكفنا إليك، فلا تردنا خائبين، ولا تدفعنا مطرودين.

نحن الآن نخاف النار لذلك ما عدنا نستلذ بنوم أو قرار، نحن الآن يا ربنا نخاف النار لذلك نحن ندعوك أن تعتقنا قبل أن نعاينها،

إن كنا تكبرنا عليك فلأننا نسينا أن أجسادنا لا تقوى على النار، إن كنا تأخرنا عن طاعتك فلأننا نسينا أن أجسادنا لا تقوى على اللهب، إن كنا فرطنا في أمرك فلأننا نسينا أن أجسادنا لا تحتمل عقابك.

نحن نعلم أن نبيك ﷺ أخبرنا أن بين منكب الكافر في النار وما بين شحمة أذنه كما بين مكة والمدينة، نحن نعلم أن أهون أهل النار عذابًا رجل له نعلان من النار تغلي منهما رأسه ودماغه، نحن نعلم أن النار قعرها سبعون سنة، فنسألك يا مولانا أن تعتقنا منها، مولانا نحن المذنبون، مولانا نحن المقصرون، مولانا نحن العصاة المفرطون، مولانا نحن المسيئون، مولانا نحن البعيدون، مولانا نحن الهاربون مولانا نحن العائدون فاقبلنا وأعتق رقابنا.

لذلك نحن الليلة نبكي.

قال حمزة الأعمى: ذهبت أمي إلى الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد هذا ابني قد أحببت أن يلزمك، فلعل الله أن ينفعه بك، قال: فكنت أذهب إليه، فقال لي يوما: يا بني إحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه، وابكي في ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك، فتكون من الفائزين.

قال: وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي وآتيه مع الناس وهو يبكي وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يومًا يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء فبكى ثم قال: يا بني، فماذا يفعل المؤمن إذا لم يبكِ، يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة فإن استطعت إلا أن تكون عمرك باكيًا فافعل، لعله يراك سبحانه على حالك فيرحمك بها، فإذا أنت قد نجوت من النار.

نعم، لذلك نحن الليلة نبكي يا ربنا.

نبكي لأنك أمرتنا فما امتثلنا، ونهيتنا فما انتهينا، نبكي لأنه ليس في الدنيا مساكين مثلنا، نبكي لأننا نعلم أن كرمك واسع، وأن فضلك كبير، نبكي لأننا نعلم أنك تعلم أننا نحبك، والله يا رب، والله يا رب إننا نحبك وإن كانت معاصينا كثيرة، نحبك يوم أن خلقتنا، نحبك يوم أن حملتنا صغارًا وربيتنا، نحبك يوم أن أطعمتنا وسقيتنا، نحبك يوم أن عافيتنا وسلمتنا، نحبك يوم أن هديتنا للإسلام، نحبك حتى عندما عصيناك فلم تعاقبنا، ولم تقبض أرواحنا على المعاصي، نحبك لأنك الله الخالق المتفضل الكريم، ونحبك لأننا نعلم أنك ستعتق رقابنا إن أخلصنا وصدقنا، لذلك نحن نبكي لك يا ربنا، نبكي ونحن نعلم أن عملنا القليل لن يشفع لنا عندك، لكنك تعلم يا الله من

نحن، نحن عبيدك نحن ملك يديك نحن طوع أمرك، نحن تحت حكمك وسلطانك، إنما نتحرك بقوتك وقدرتك، إنما نقضي حياتنا بحولك وقوتك، لو شئت يا ربنا لأهلكتنا، لو شئت يا ربنا لقبضت أرواحنا، لكنك تعلم يا رب أننا عبادك، لذلك تركتنا حتى نعود إليك ونتوب لذلك نحن الليلة نبكي لك ونسألك أن تعتق رقابنا من النار.

قال فرقد السبخي: قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا بكى من خشية الله تحاتت عليه ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولو أن عبدًا جاء بجبال الأرض ذنوبًا وآثامًا لوسعته الرحمة إذا بكى، وإن الباكي على الجنة لتشفع له الجنة إلى ربها، تقول: يا رب أدخله الجنة كما بكى عليّ، وإن النار لتستجير له من ربها تقول: يا رب أجره من النار كما استجارك منه خوفًا من دخولي، يا رب! يا رب هذا دعاء المضطرين نبعثه.. اللّٰهم أعتقنا من النار، أعتقنا من النار، واجعل الجنة هي دار القرار، لذلك نحن الليلة نبكي، نبكي وقد احترقت عيوننا، نبكي وقد التهبت قلوبنا، نبكي كي تنقذنا من ذنوبنا، نبكي كي تفك أسر أرواحنا، نبكي لك ومن أجلك ولرضاك.

قال نافع مولى ابن عمر: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا أتى على هذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يبل لحيته البكاء ويقول: بلى يا رب بلى يا رب.

ونحن أيضا نقول الليلة: بلى يا رب قد آن أن تخشع قلوبنا لذكرك، قد آن أن تذل رقابنا لعظمتك، قد آن أن نبكي لترضى عنا، آن أن نبكي لكي تنجينا من النار.

قال أبو مودود: بلغني أن عمر بن عبد العزيز قرأ ذات يوم قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] فبكى بكاء شديدًا حتى سمعها أهل الدار فجاءت زوجته فاطمة فجعلت تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهم فجاء عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون فقال: يا أبي ما يبكيك؟

قال: خيرٌ يا بني، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك، والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

أخي المسلم، أختي المسلمة هكذا حال الذين يريدون أن تعتق رقابهم من النار هكذا حال العبيد الواقفين على باب الملك يسألون ويطلبون ويتذللون ويبكون ويتضرعون ويستغيثون، وهكذا ينبغي أن نكون، لذلك نحن الليلة نستغيث بك يا مولانا أعتق رقابنا وأغثنا برحمتك، مولانا هذه أعناقنا مقيدة مربوطة، لا يفك قيدها أحد سواك ولا يزيح رباطها راحم سواك، فنسألك الليلة أن تعتق رقابنا.

كان أبو عبيدة الخواص يمسك بلحيته ويقول: قد كبرت يا مولاي فأعتق رقبتي.

ودخل يومًا على مالك بن دينار وكان عنده جماعة من الصالحين وكان مع أبو عبيدة الخواص حبلٌ في طرفه عروتان، فجعل عروة في عنقه، وعروة في عنق مالك بن دينار، ثم قال: يا مالك هذه رقابنا مقيدة كما ستقيد يوم القيامة فتخيل أننا الآن بين يدي الله فماذا عسانا أن نقول، فبكى القوم جميعًا.

لذلك نحن الليلة نبكي..

يا ربنا نبكي لك الآن.. نبكي لك الآن في جوف الليل في خلواتنا، لأننا نعلم أن الباكي لك في خلوته من السبعة الذين يستظلون بظلك يوم لا ظل إلا ظلك، «ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» نبكي وهل نملك إلا البكاء، نحن نعلم أن بكاءنا يفتح بابك، نحن نعلم أن بكاءنا ينزل رحمتك، نحن نعلم أن بكاءنا يستمطر جودك، فارحم دموعنا يا أرحم الراحمين.

قال الحكم بن نوح لمالك بن ضيغم: بكى أبوك ضيغم ليلة من أول الليل إلى آخره، لم يسجد سجدة ولم يركع فيها ركعة، وكنا في سفينة في البحر، فلما أصبحنا قلت يا أبا مالك لقد طالت ليلتك لا مصليا ولا داعيًا، فبكى ثم قال: لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غدا ما لذوا بعيش أبدًا، إني والله لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك عند الله، وكل امرئ يومئذ تهمه نفسه، لا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، ثم جعل يشهق ويضطرب.

لذلك نحن الليلة نبكي لك يا ربنا، أعتق رقابنا يا رب ارحم ذلنا، يا رب ارحم ضعفنا يا رب تجاوز عن خطايانا يا رب سامحنا يا رب سامحنا، يا رب سامحنا، يا رب حرمنا على النار، نحن التائبون نسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، نجنا الليلة من عذاب النار، اللّٰهم اجعلنا من أهل الفردوس الأعلى في الجنة، يا رب أنت قلت: «يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة».

فنسألك أن تنزل علينا مغفرتك، يا رب إن حلمك واسع وإن عفوك عظيم، فأدخلنا الليلة في رضاك يا رب اكتب لنا الليلة سعادة لا شقاء بعدها، وراحة لا تعب بعدها، وأنسًا لا تعاسة بعده، يا رب أنت أرحم الراحمين، وأنت أجود الأجودين، وأنت الملك الحق المبين نسألك رضاك والجنة، نسألك رضاك والجنة، نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، ونعوذ بك من سخطك والنار، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللّٰهم هذا الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللّٰهم صل

وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***